وظائف النسق الأسري وعلاقتها بجودة الحياة

Les fonctions du système familial et sa relation à la qualité de vie

لبصير شهرزاد، أستاذ محاضر (أ)، جامعة عبد الحميد مهري-قسنطينة2-

Chahrazed.lebsir@univ-constantine2.dz

المحور: العلاقات الأسرية وجودة الحياة (المحور الثاني).

عنوان المداخلة: وظائف النسق الأسري وعلاقتها بجودة الحياة

ملخص:

انطلاقا من قاعدة جودة الأسرة من جودة الحياة، تأتي هذه المداخلة بعرض وتحليل وظائف النسق الأسري وعلاقتها بجودة الحياة، باعتبار الأسرة الخلية الأساسية المكونة للمجتمع والمرتبطة ارتباطا متكاملا ببقية الأنساق المكونة للبناء الاجتماعي؛ كونها المسؤول الأول عن إعداد أجيال متزنة ومؤهلة، و أي تقصير في ممارسة وظائفها خاصة في مراحل النمو الحساسة كالطفولة المبكرة والمراهقة يؤدي إلى مشكلات اجتماعية واضطرابات نفسية وسلوكية، لا تؤثر على استقرار الأسرة فحسب بل على البناء الاجتماعي ككل.

الكلمات المفتاحية: جودة الحياة، الأسرة، جودة الحياة الأسرية.

Résumé:

Partant de la base de la qualité de la famille dépend de la qualité de vie, cette intervention s'accompagne d'une présentation d'une analyse des fonctions du système familial et de leur relation à la qualité de vie.

Etant la cellule de base qui constitue la communauté, la famille est intégralement liée aux restes des systèmes qui composent la structure sociale ; étant principalement chargée de préparer des générations équilibrées et qualifiées, et

tout manquement à l'exercice de ses fonctions, notamment dans les stades sensibles du développement ; comme la petite enfance et l'adolescence entraine des problèmes sociaux et des troubles psychologiques et comportementaux affectant non seulement la stabilité de la famille mais aussi la structure sociale dans son ensemble.

Les mots clés : La qualité de vie, la famille, la qualité de vie familiale.

مقدمة:

سعت الأسرة كنظام اجتماعي قديم قدم الإنسانية لتحقيق أهداف معينة من خلال وظائفها التي عرفت تقلصا عبر الزمن، متأثرة بعدة عوامل مختلفة ومتداخلة عبر مراحل معينة من حيث تغيير المراكز الاجتماعية لأفرادها، ومن حيث تغيير حجمها ووظائفها وذلك تماشيا مع الظروف والمعطيات المحيطة بها. الأمر الذي جعل الباحثين والمختصين من علماء الاجتماع والنفس والتربية ينكبون على دراسة وتحليل النسق الأسري كيف يعمل؟ كيف يتطور؟ كيف يؤثر في بقية الأنساق الأخرى؟ وما هي العوامل المؤثرة في جودة الحياة الأسرية؟ نظرا لما أصبح يلمّ بالأسرة من ضغوطات وتحديات وهي التي مثلت ولازالت تمثل قاعدة أي بناء وأي تنمية بشرية.

وباعتبار الجودة أصبحت لغة العالم المعاصر هذا لم يمنع من استخدامها للدلالة على النسق الأسري السليم الذي يؤدي وظائفه على أكمل ؛ فجودة الإنسان هي حسن توظيف إمكانياته العقلية والإبداعية، وإثراء وجدانه ليتسامى بعواطفه ومشاعره وقيمه الإنسانية وتكون المحصلة جودة الحياة وجودة المجتمع.

1-طرح الإشكالية:

في السنوات القليلة الماضية أصبح يتردد على مسامعنا كثيرا مفهوم **جودة الحياة**، وبات عنوانا للعديد من المؤتمرات و الندوات العلمية، ومجالا للدراسات سواء من قبل الأفراد أو مراكز الأبحاث، نتيجة ماعرفته المجتمعات من تطور في كافة الميادين، أين عرف إنسان القرن الواحد والعشرين مستويات مذهلة من الرفاهية والتحسن في نمط

المعيشة، ليظهر مفهوم جودة الحياة كمعيار لقياس مدى تقدم المجتمعات و رقيها. وأصبح هذا الأخير مطلبا أساسيا لتطوير السياسات التنموية ولتلبية الإحتياجات الأساسية والاجتماعية والاستمتاع بالحياة العصرية الآمنة والمريحة.

ولما كانت جودة الحياة بمفهومها البسيط تعني شعور الفرد بالرضا والسعادة والمقدرة على إشباع حاجاته الأساسية من خلال البيئة التي يعيش فيها،بما تتضمنه من خدمات اجتماعية،صحية، تعليمية ونفسية...الخ، ولأن الفرد ناذرا ما يعيش منفردا بل يولد وينشأ في كنف الأسرة التي أنجبته، فقد ارتبط مفهوم جودة الحياة بالأسرة لما لهذه الأخيرة من أهمية عظمى في حياة الأفراد والجماعات من مختلف الشرائح و الفئات الإجتماعية،وانصبّ بذلك التركيز على جودة الحياة الأسرية كرهان لتحقيق جودة الحياة بصفة عامة.

فلا يختلف اثنان على أن الأسرة هي المرجع الأساسي والمهم لعملية التنشئة في كافة المراحل العمرية،لأنها أول عالم يتعرف عليه ويحتك به المولود الجديد الذي سيصبح طفلا ثم شابا وناضجا مستقبلا، إنها الجماعة الأولى التي ينشأ فيها ويتشرب من خلالها بجميع القيم والعادات والمعايير السلوكية. فبالإضافة الى وظيفة الانجاب كمرحلة أولى، تأتي مرحلة الاشراف على هذا المولود ورعايته وتربيته، ولذلك كانت الأسرة ولازالت مسؤولة عن عملية إعداد أجيال متزنة ومؤهلة، هذا ما جعل من الإهتمام بجودة الحياة الأسرية ضرورة ملحة اليوم بالنظر لما يحيط بالأسرة من ضغوطات وتحديات تؤثر على استقرارها.

وكما للأسرة محاسن الدّفء والحب والانتماء والاستقرار والسكينة، لها أيضا مساوئ الخلاف وسوء المعاملة ورفض الآخر، عندما تنعدم الحقوق الطبيعية فيها، أين تتحول تحت تأثير الضغوط الحياتية إلى مكان تغيب فيه كل معايير جودة الحياة الأسرية الناتجة عن اختلال وظائف الأسرة .فجودة الحياة لا تتحقق من داخل أسرة تعاني من المشاكل النفسية والاجتماعية والاقتصادية، وإنما تتحقق داخل الأسرة التي تكافح دوما من أجل تحقيق حد أدنى من الظروف الملائمة نفسيا واجتماعيا واقتصاديا وأخلاقيا، وهذا بتأدية وظائفها على أكمل وجه.

في ضوء هذا الطرح نسعى من خلال هذه المداخلة للبحث في وظائف النسق الأسري

وعلاقتها بجودة الحياة الأسرية وذلك من خلال الإجابة عن التساؤل التالي: ماطبيعة العلاقة بين وظائف النسق الأسري وجودة الحياة ؟ وهل اختلال وظائف النسق الأسري يؤدي بالضرورة إلى انعدام جودة الحياة الأسرية ومن ثم انخفاض أو انعدام جودة الحياة بصفة عامة؟ .

2- ضبط المفاهيم الأساسية:

2-1-مفهوم الأسرة

ورد في لسان العرب أسرة الرجل عشيرته، والأسرة تعني عشيرة الرجل وأهل بيته، والأسرة في اللغة مشتقة من الأسر، وتعني القيد، ويقال أسره، قيده وأخذه أسيرا. (منصور، 2000، ص59) ومنه جاء مفهوم الأسرة الذي يفيد الأسر، وهو أسر إرادي واختياري، لهذا نقول دخل فلان أو فلانة القفص الذهبي بدلا من الزواج، أي التقيد برباط عن رغبة وطواعية.

أما اصطلاحا تعّرف الأسرة بأنها جماعة اجتماعية بيولوجية نظامية، تتكون من رجل وامرأة وأبنائهما، ومن أهم الوظائف التي تقوم بها هذه الجماعة إشباع الحاجات العاطفية وممارسة العلاقات الجنسية، وتهيئة المناخ الاجتماعي الثقافي الملائم لرعاية وتنشئة وتوجيه الأبناء. (غيث،2006، ص155).

2-2-مفهوم جودة الحياة:

الجودة لغة: (quality)من الفعل الثلاثي جود، جاد بمعنى طاب وصار جيد، ونقول جاد أي أتى من القول أو الفعل أحسنه. وجودة رأي؛ حالة ما هو جيد وإكتمال الصفات المميزة(المنجد،2001،ص234)،كما يقصد بها أيضا درجة الدقة والإتقان وهي ضد الرّداءة.

-أما **جودة الحياة** (quality of life) حسب منظمة الصحة العالمية(1993) هي إدراك الفرد لوضعه المعيشي في سياق أنظمة الثقافة والقيم في المجتمع الذي يعيش فيه، وعلاقة هذا الإدراك بأهدافه وتوقعاته ومستوى اهتمامه.

-يعرفها عبد الله العارف بالله بأنها ذلك البناء الكلي الشامل يتكون من مجموعة

من المتغيرات المتنوعة التي تهدف إلى إشباع الحاجات الأساسية للأفراد الذين يعيشون في نطاق هذه الحياة، حيث يمكن قياس هذا الإشباع بمؤشرات موضوعية تقيس القيم المتدفقة، ومؤشرات ذاتية تقيس قدر الإشباع الذي تحققه(بحرة،2015،ص13).

-ويعرفها محمود عبد الحليم منسي وعلي مهدي كاظم: بأنها شعور الفرد بالرضا والسعادة والقدرة على إشباع حاجاته من خلال إثراء البيئة ورقي الخدمات التي تقدم له، في المجالات الصحية و الإجتماعية والتعليمية والنفسية مع حسن إدارته للوقت والإستفادة منه

-كما يشير(puts et al,2007) إلى أن كل من العلاقات الإجتماعية، الأدوارالاجتماعية، الأنشطة،الصحة، النظرة النفسية، الرفاهية والإستقلال المادي هي المجالات الهامة لجودة الحياة(عايدي،2019،ص416).

والجدير بالذكر أن مفهوم جودة الحياة ديناميكي يتضمن معنى التغيير، ولهذا تشير الدراسات إلى صعوبة صياغة تعريف محدد لجودة الحياة فهو يتسم بالغموض، لعدة أسباب أهمها حداثة المفهوم على مستوى التناول العلمي وارتباطه بالعديد من العلوم، بالإضافة لكونه مفهوم يتغير بتغير الزمن و كذا الحالة النفسية والمرحلة العمرية للفرد.

ومن زاوية أخرى نلاحظ استخدام مفهوم الجودة للتعبير عن الرقي في مستوى الخدمات المادية الاجتماعية التي تقدم لأفراد المجتمع، كما يستخدم أيضا للتعبير عن إدراك الأفراد لقدرة هذه الخدمات على إشباع حاجاتهم المختلفة.

2-3-مفهوم جودة الحياة الأسرية:

-تعرفه منار عبد الرحمان وأحلام مبروك: بأنها نوعية الحياة الأسرية المستقرة و التي تضمن سعادة أفرادها ويتوفر فيها احتياجاتهم المختلفة ويتحقق ذلك عن طريق التوافق بين الزوجين وقدرتهم على التواصل ومواجهة صعوبات الحياة معا، وقدرة الزوجين على النجاح في رعاية أبنائهم بدنيا ونفسيا واجتماعيا مما يوفر الظروف البيئية الملائمة لتنمية قدرات ومهارات الأطفال لإعداد جيل صاعد للمبدعين(الزهراني،2019،ص79).

-وتعرف كل من أماني عبد الوهاب وسميرة شند جودة الحياة الأسرية: بأنها العلاقات و الممارسات الإيجابية التي يتبعها الوالدان في تنشئة الأبناء، وما تتسم به من دفء وتقبل ومشاركة وتشجيع واستحسان في المواقف الحياتية المختلفة، وإدراك الأبناء ذلك، وردود أفعالهم تجاه هذه الممارسات، و العلاقات المتبادلة بين أفراد الأسرة وما تتسم به هذه العلاقات من أساليب سوية في التعامل لتحقيق تلك الأهداف، وإنجاز الأعمال والمهام ودعم أفراد الأسرة في المواقف المختلفة (العمري،2020،ص10).

-كما تعرف أيضا على أنها حالة ديناميكية من السلامة، يتم تحديدها و الشعور بها بصورة جماعية وذاتية من قبل أفراد الأسرة

-كذلك يمكن وصف جودة الحياة الأسرية بأنها تقييم إجمالي للحياة الخاصة بإحدى الأسر (park,and others ,2003,p84)

من خلال ما سبق ذكره يتضح لنا بأن جودة الحياة الأسرية هي عبارة عن الدرجة التي عندها تشبع احتياجات جميع أفراد الأسرة، ويستمتعون بحياتهم معا، في ضوء الوظائف التي يؤديها كل فرد منها.

3-نشأة وتطور الإهتمام بجودة الحياة الأسرية:

رغم أن مفهوم جودة الحياة من المفاهيم الحديثة التناول، إلا أن الباحث في معناها يجدها من المفاهيم التي شغلت الإنسان البدائي الأول، حيث ما انفك يبحث عن **الحياة الجيدة** والمريحة منذ الأزل إلى يومنا هذا، في رحلة شاقة من أجل حياة أفضل انطلاقا من إنسان المغارة إلى إنسان الفضاء. لهذا شكل هذا المفهوم محور اهتمام الفلاسفة ثم العلماء، والفكرة الأولية لجودة الحياة ظهرت في المناقشات التاريخية لفلاسفة اليونان حول طبيعة جودة الحياة ومواصفاتها، وكان أرسطو من الأوائل الذين تناولوا هذا المفهوم، وذلك في عام385 قبل الميلاد، وقد رأى أن كلا من الحياة الجيدة أو فعل الأشياء بصورة جيدة مرادف للسعادة كما رأى أيضا بأن معنى السعادة يختلف حسب الظروف وبين الأشخاص؛ فما يجعل المريض سعيدا مختلف عما يجعل الفقير سعيدا الأسرpark,and others ,2003,p67)

ورغم أن للمفهوم أصول وجذور ضاربة في أعماق التاريخ؛ لم يكن الاهتمام به على الصورة التي عليها اليوم من حيث سياق الإستخدام، وجاذبيته العالمية، فالأفكار مثل الملابس تأتي و تذهب مع الموضة، حيث عاود الظهور والإنتعاش في حقبة الستينات من القرن الماضي أين ارتبط بنمط معين تميز بالترف، وهو ذلك النمط من الحياة الذي حققته تلك المجتمعات التي عرفت نموا اقتصاديا معتبرا واستطاعت أن تحل جميع المشاكل المعيشية لغالبية سكانها.

ومع التوسع في مفهوم دولة الرفاه في معظم دول الغرب، تركز الاهتمام في ما وراء إشباع الماديات ومن ثم اهتمام أوسع بالحياة الجيدة؛ فكان هناك جدل حول حقيقة وجود ما هو أكثر من الرفاه المادي للبشر. أثمر هذا الجدل عن التفكير في مرحلة ما بعد الصناعة و استخدام الوفرة الإقتصادية في إشباع الطموحات الرفيعة التي أوجدها التقدم السريع، وقد كان هذا المفهوم متناغما مع النظام السياسي الاقتصادي السائد في دول الغرب الصناعية (البقلي،2015،ص4).

أما في عقد السبعينات فقد اتخذ مفهوم نوعية الحياة اتجاها آخر ليعبر عن عدم الرضا عن الوضع القائم ، وطرح فكرة نوعية أو كيفية الحياة كفكرة معارضة وليس كفكرة مكملة للكم التي طرحها النظام الاقتصادي آنذاك، ومن ثم طرحت فكرة نوعية أو كيفية qualityالحياة كمعارضة لفكرة الكم ،quantity فهو مفهوم يؤكد على أهمية التغيير الكيفي لجوانب نوعية الحياة ما دام تغييرها لايمثل تعديلا جوهريا في الدعائم السياسية والاقتصادية والاجتماعية للنظام.

و بحلول القرن الواحد والعشرين ارتفعت أسهم العوامل غير المالية أو الإقتصادية في تحديد مفهوم جودة الحياة ليشتمل على الجوانب النفسية والاجتماعية والبيئية والتي تؤثرعلى رفاهية الإنسان، ووصل الأمر إلى اعتراف دولي من خلال إعلان اسطنبول في 30 يونيو 2007 بالحاجة إلى إجراء قياس التقدم الاجتماعي في كل بلد بأساليب تتجاوز المقاييس الاقتصادية التقليدية. وفي عام 2009 تم التأكيد على أن البعد الإقتصادي لا يكفي لتحديد مفهوم جودة الحياة (البقلي،2015،ص6).

وفق هذه الرؤية أصبحت جودة الحياة لا تقاس بالأرقام، لكونها استجابات ومشاعر، فالزيادات في معدلات النمو اإقتصادي و ارتفاع متوسط دخل الفرد وتحسن مستوى ما يقدم للإنسان من خدمات و رفاهية ،لا يؤدي بالضرورة إلى إشباع حاجاته المعنوية و إرضاء طموحاته الشخصية وكذلك تأكيد قيمه الإنسانية وكما يقال الإحصاء لا يروي القصة كاملة.

4- مميزات الأسرة وخصائصها:

-الأسرة هي أبسط أشكال التجمعات الإنسانية وهي الخلية الأساسية التي يتكون منها المجتمع.

-تختلف أنماط الأسرة من مجتمع لآخر ويمكن أن نجد الاختلاف حتى في المجتمع الواحد فلكل أسرة نمطها المعيشي وخصائصها التي تميزها.

-الأسرة نسق اجتماعي يؤثر في باقي الأنساق الاجتماعية ويتأثر بها، فإذا فسد النسق الأسري فسد المجتمع ونفس النتيجة إذا فسدت الأنظمة الأخرى.

-توجد بأشكالها المختلفة في كل المجتمعات وفي كل الأزمنة، ذلك لأن الطفل حين يولد يكون في حاجة لمن يرعاه.

-هي النظام الذي يؤمن وسائل المعيشة لأفراده.

-أول وسط اجتماعي يحيط بالطفل، و يشكله ليكون عضوا في المجتمع.

-الأسرة كنظام اجتماعي تؤثر فيما عداها من النظم الاجتماعية وتتأثر بها.

-الأسرة وحدة إحصائية. أي يمكن أن تتخذ أساسا لإجراء الاحصائيات المختلفة كعدد السكان، ومستوى المعيشة وجودة الحياة وظواهر الحياة والموت...الخ. (الرشدان، 1998، ص122)

-يعيش أفراد الأسرة تحت سقف واحد ويكوّنون عائلة واحدة وأهلا لبعض، وقد تكون محدودة الحجم وتقتصر على الزوج والزوجة دون أطفال أو طفل أو أكثر.

-تستمد الأسرة ثقافتها الأساسية من الثقافة العامة، ولكن في المجتمعات المعقدة يكون لكل أسرة سمات ثقافية مميزة، نتيجة تجارب واتصالات أفراد الأسرة الذين يدمجون أنماط سلوكهم في ثقافة الأسرة.

-يشدد المجتمع حراسته على الأسرة عن طريق القواعد القانونية والمحرمات الاجتماعية، ولذلك فإنها تحاط بأكثر أدوات الضبط الاجتماعي، وهذا أبلغ دليل على أهميتها القصوى بالنسبة لكافة المجتمعات. (المالك، 2006، ص18)

5- وظائف الأسرة:

يقصد بالوظائف الأسرية تلك الأنشطة التي يؤديها الأعضاء في ممارستهم لأدوارهم المنوطة بهم، والتي اكتسبوها أو التي ورثوها أيضا لصالح الأعضاء ولصالح المجتمع ككل. وقد تطورت وظائف الأسرة من الاتساع الى الضيق مع نمو المجتمعات وظهور تنظيمات متخصصة تقوم بالأدوار التي كانت الأسرة تقوم بها فيما سبق. فالوظائف التشريعية صارت من حق الدولة والوظائف التنفيذية تولتها الحكومات، والوظائف الدينية أصبحت من نصيب دور العبادة ، أما الوظائف التربوية والعلمية فقد تولّتها المؤسسات التربوية المتخصصة، وصارت الأسرة نفسها خاضعة للنظم التي يفرضها المجتمع. أما الوظائف الاقتصادية فقد انتزعت كذلك من الأسرة لتقوم بها هيئات اقتصادية متخصصة كالمصارف والشركات. (السمالوطي، 1981، ص86)

ولكن على الرغم من انكماش وظائف الأسرة إلا أنها ظلت تنظيما أساسيا له وظائفه الحساسة والهامة، التي لا تشترك معها أي مؤسسة أخرى في أداء هذه الوظائف. في حين تبقى المؤسسات الأخرى في حاجة دوما لدور الأسرة في تعزيز وظائفها، وخير مثال على ذلك المدرسة، فلو تصورنا أن المدرسة تعمل لوحدها من غير تنسيق أو تعاون مع الأسرة فإنها لا يمكن أن تنجح في أداء رسالتها.

إن انسلاخ الأسرة وتحررها من الأعمال العديدة التي كانت تقوم بها في الماضي يجعلها قادرة على أداء الأعمال والوظائف المتبقية لها بطريقة أكثر نجاحا. فالأسرة الحديثة أكثر تخصصا عما كانت عليه في الماضي، وفي نفس الوقت فان المجتمع الحديث يعتمد عليها

أكثر في أداء العديد من الوظائف المختلفة. (بيومي، 2003، ص245) هذه الوظائف التي تتميز بالتداخل والتشابك والترابط لدرجة أنه يصعب على المرء فصل هذه الوظائف أو عزل وظيفة عن أخرى وتتمثل في:

5-1- الوظيفة البيولوجية: أو وظيفة الجنس والانجاب، اذ يعتبر الزواج وبناءا أسرة نظاما أساسيا لتحقيق الاشباع الجنسي، ورغم أن هذه العملية تعتبر من الأمور البيولوجية، الا أن اشباعها يخضع لتنظيم المجتمع وعاداته وتقاليده. كما تعتبر الأسرة النظام الاجتماعي المتعارف عليه والسائد لتنظيم الزواج والتناسل فيحافظ على المجتمع الإنساني وعلى استمراريته وبقائه عن طريق الأعضاء الجدد. فالإنجاب هو المسؤولية الفردية للأسرة، وهو الجانب الكبير من مهامها كتنظيم، لتحافظ على بقاء المجتمع واستمراره (عوفي، 2003، ص138).

5-2- الوظيفة الاقتصادية: تعتبر الأسرة وحدة إنتاجية اقتصادية في غالبية المجتمعات، وخاصة الزراعية التي تعمل بها على دمج القدرات الإنتاجية، وقد أدت الحياة الصناعية الحديثة الى خروج أفراد الأسر للسعي وراء العمل الذي يعود بالمنفعة الاقتصادية على المجتمع بمساهمتهم في بنائه وتنميته، كما يعود بالمنفعة أيضا على كل أعضاء الأسرة، وذلك بتأمين الحاجات الأساسية لأفرادها كالغذاء واللباس، الدواء، المصاريف الحياتية الأخرى، وبالتالي تعتبر الأسرة مركزا للأمن الاقتصادي بالنسبة للفرد.

5-3 الوظيفة الدينية: إن الأسرة هي المسؤول الأول عن غرس العقائد الدينية في نفوس الأبناء، قبل أي هيئة دينية أخرى، لأن الفرد داخل الأسرة يتشرب بقيمها الدينية، فاذا كانت الأسرة مسلمة مثلا فهي تعمل على توظيف تعاليم الدين الإسلامي في الحياة اليومية، حيث تؤدي ممارسة الشعائر الدينية بطريقة جماعية إلى زيادة الوحدة والإخاء والتكامل بين أعضاء الأسرة، وترفع من مستوى الأسرة فكريا ومعنويا وتمنع الانحراف والخروج عن السلوك المرغوب (عوفي ، 2003، ص133) والدليل على هذا هو قوله تعالى: «ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة" (سورة الروم، الآية 21)، وقوله تعالي أيضا: «ولاتقل لهما أف ولا تنهرهما، وقل لهما قولا

كريما، واخفض لهما جناح الذل من الرحمة، وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا"(الآية 23 من سورة الاسراء) ومثل هاتين الآيتين الكثير في القران الكريم، وتتجلى لنا الوظيفة الدينية من خلال تطبيق الأسرة لما جاء في آيات القران الكريم في أسلوب المعاملة بين الزوج والزوجة وبين الأباء والأبناء والعكس.

4-5 الوظيفة النفسية: تعتبر الأسرة الجماعة الأولية التي توفر للفرد أكبر قدر ممكن من الحنان والعطف وذلك يتوقف على قدر كبير من التكامل الانفعالي والعاطفي عند أعضاء الأسرة وعلى مبلغ ما يتوفر لهم من اشباع لرغباتهم المتعددة، ويلاحظ أن هذا الاشباع لا يقتصر على الأطفال فقط، بل كذلك الأب والأم. (بيومي، 2003، ص295)

كما أن بذور الصحة والمرض النفسي يوضع خلال مرحلة الطفولة المبكرة، وهنا تكمن الوظيفة النفسية في تعليم الطفل المحبة والتعاطف والميل نحو أفراد الأسرة ونحو الآخرين القريبين منه والبعيدين عنه، وإكسابه طرق ووسائل اشباعها وإرضاء ذاته، وإشعاره بأنه قريب للقلب ومحبوب ومقبول من قبل أفراد أسرته، هذه الوظيفة مهمة جدا في تماسك الأسرة وتمتين روابطها، وإذا حصل أي ضعف أو تقصير في هذه الوظيفة فإنها تنعكس على شخصيته عند الكبر وتفرز آثارها السلبية في تعامله مع الآخرين، بحيث لا يستطيع العثور على شخصيته مع الأفراد الذين يتفاعل معهم، فيكون تعيسا في حياته لأن فاقد الشيء لا يعطيه، والقصور في الارضاء العاطفي المتأتي من الوظيفة النفسية للأسرة عند تنشئتها لأبنائها يساعد على حدوث عدم الانسجام العاطفي مع الشريك عند الزواج مستقبلا، مما يؤدي الى عدم الإستقرار والصراع ثم التفكك الأسري.

5-5-وظيفة التنشئة الاجتماعية: قبل الولوج في أهمية هذه الوظيفة، يجب البدء أولا بتحديد مفهوم التنشئة الاجتماعية، هذا المفهوم الذي يتخذ طريقتين في ضبطه، طريقة فيها توسع وشمول في النظرة، وطريقة فيها تركيز وتحديد، فمن جهة يمكن النظر إلى التنشئة الاجتماعية كعملية مستمرة شاملة، تستهدف بناء الشخصية ونقل التراث الثقافي من جيل الى جيل، ونظرا لأن التنشئة الاجتماعية تعتبر عملية متصلة طول حياة الانسان، لذلك تعددت مؤسسات التنشئة الاجتماعية ومن أهمها: الأسرة، الروضة، المدرسة،

جماعة الأقران، وسائل الاعلام...الخ. ومن جهة أخرى يمكن النظر الى التنشئة الاجتماعية بحيث تقتصر على ذلك الجانب منها الذي يتم داخل الأسرة وبالذات في مرحلة الطفولة، ففي هذه المرحلة يكتسب الطفل (الكائن البيولوجي) شخصيته الاجتماعية ويتحول من ثم الى كائن اجتماعي. (شكري، 1998، ص82)

وفي موضوعنا هذا نستخدم مفهوم التنشئة الاجتماعية بالمعنى المحدود، الذي يجعل هذه العملية تقتصر على الجانب الذي يتم داخل الأسرة، وذلك على أساس أن مؤسسات التنشئة الاجتماعية الأخرى تختلف أدوارها وتأثيراتها تبعا للمراحل العمرية التي يمر بها الفرد (الطفولة، المراهقة، النضج) في حين تبقى الأسرة دائما المرجع الأساسي والمهم لعملية التنشئة في كافة المراحل العمرية. وتعتبر مدرسة لأفرادها، لأنها تعمل على نقل التراث الاجتماعي من جيل الى جيل، وتعودهم على التقاليد السائدة في المجتمع، وخاصة ما يتعلق منها بالسلوك والآداب العامة وعلى ذلك فوظيفة التنشئة الاجتماعية التي تؤديها الأسرة في حياة الفرد، تجعله يستطيع التكيف واحتلال مكانته، انها عملية التطبيع الاجتماعي للإنسان وبناء شخصيته التي ينمو من خلالها من كائن بيولوجي الى كائن اجتماعي.

وفي ضوء هذه الوظائف التي تؤديها الأسرة تتجلى لنا أهميتها القصوى في كونها نواة المجتمع وأساس تكوينه، فاذا كان النسق الأسري سليما وقويا فان هذا يعكس سلامة وقوة الوظائف التي تؤديها، هذه الأخيرة هي على درجة عالية من التشابك والترابط، حيث كل واحدة تكمل الأخرى في تهيئة أسلوب حياة سليم للأسرة، الذي يضمن وجود التماسك والتكافل والتوازن والاستقرار الأسري، أما اختلال هذه الوظائف واضطرابها فلا ينجر عنه سوى مظاهر التفكك الأسري المنبئ بتفكك اجتماعي لا محالة، بيد أن هذا المجتمع ما هو الا تجمعات أسرية هنا وهناك . و بالتالي الإبتعاد عن كل مظاهر ومؤشرات جودة الحياة المتعارف عليها.

6-أبعاد ومؤشرات جودة الحياة:

عرفنا من خلال تحديدنا لمفهوم جودة الحياة أعلاه أنه مفهوم نسبي لدى الفرد وهذا وفقا للمراحل العمرية والدراسية والظروف والمواقف التي يعيشها، ويرتبط هذا المفهوم

بحاجات الفرد النفسية والاجتماعية والروحية والبدنية والعقلية، ويتم إشباع هذه الحاجات عندما تمثل الحاجات و إشباعها مقومات جودة الحياة عند الفرد، فتحديد مدى جودة حياة الفرد يعد أمرا نسبيا وهذا لارتباطه بعوامل ذاتية وأخرى موضوعية، ولهذا يمكن القول أن تحقيق جودة الحياة بشكل مطلق غير وارد في حياة الإنسان، لأن الإعتراف بالحاجة لا يعرف حدّا.

ورغم تعقد عملية قياس جودة الحياة إلا أنه عادة ما يتم التطرق لهذه الأخيرة في ضوء بعدين أساسيين لكل منهما مؤشرات عديدة :

- **البعد الموضوعي**: الذي يعبرعنه في رقي ونوع ومستوى الخدمات المادية و الاجتماعية التي تقدم للفرد مثل الارتقاء بالمستوى الاقتصادي والوفرة السلعية والارتفاع بمستوى الدخل القومي وتقديم الخدمات السكنية و المواصلات التي تدل على رقي نمط الحياة الذي يعيشه الفرد بدلالات إشباع الإحتياجات وجوانبها المادية، ويواجه هذا البعد بمؤشراته صعوبة اكتشاف مدى سعادة الأفراد من جراء هذا الإشباع، وتحت أي ظروف يتم إشباع الناس، ولا تعتمد الإجابة على الظروف الموضوعية فقط، لكن على الإلهامات الشخصية للفرد.

-**البعد الذاتي:** ينظر إلى الموضوع من زاوية مختلفة ترتبط بشكل مباشر بمستوى تعبير الإدراك الذاتي للفرد، ونوع تقييمه للنواحي المادية المتوفرة في البيئة التي يحيا فيها، وفي حياته بشكل عام، ومدى أهمية كل جانب منها بالنسبة للفرد، ودرجة قناعة الفرد أن مستوى الحياة الذي يعيشه يمثل له شكل كاف لجودة الحياة، كما أنه من الممكن أن يتصل هذين المفهومين معا،كأن تكون جودة حياة الفرد تحت تأثير نوعية البيئة و الثقافة المحيطين به، ولكن هاتين الفكرتين يمكن صياغتهما تحت عنوان النوعية الخاصة والنوعية العامة للحياة،وهما مختلفان بكل تأكيد (بحرة،2014،ص30). وقد فصّلت منظمة الصحة العالمية (2015) أكثر في أبعاد جودة الحياة كما يلي:

-البعد الجسمي: الذي يتضمن كيفية التعامل مع الألم وعدم الراحة، النوم والتخلص من التعب.

-البعد النفسي : والذي يتكون من المشاعر و السلوكيات الإيجابية،تركيز الانتباه والرغبة في التعلم والتفكير وتقدير الذات واهتمام الإنسان بمظهره ومواجهة المشاعر السلبية.

-البعد الإجتماعي: ويتضمن هذا البعد العلاقات الشخصية والإجتماعية والدعم الإجتماعي، الزواج الناجح....الخ.

-البعد البيئي: الذي يشمل ممارسة الحرية بالمعنى الإيجابي والشعور بالأمن والأمان في الجوانب البيئية وبيئة المنزل والإبتعاد عن التلوث والضوضاء.

وأما عن المؤشرات الواقعية لهذه الأبعاد فقد حددها FALLOWFIELD)) فيما يلي:

- الإحساس بجودةالحياة: تتمثل في حالة شعورية تجعل الفرد قادرا على إشباع حاجاته المختلفة، والإستمتاع بالظروف المحيطة به.
- المؤشرات النفسية: تتمثل في شعور الفرد بالقلق والإكتئاب، أو التوافق مع المرض أو الشعور بالسعادة والرضا.
- المؤشرات الإجتماعية:وتتضح من خلال العلاقات الشخصية ونوعيتها، فضلا عن ممارسة الفرد للأنشطة الاجتماعية والترفيهية.
- المؤشرات المهنية: وتتمثل في رضا الفرد عن مهنته وحبه لها، والقدرة على تنفيد مهام وظيفته، وقدرته على التوافق مع واجبات عمله.
- المؤشرات الجسمية والبدنية: وتتمثل في رضا الفرد عن حالته الصحية، والتعايش مع الآلام والنوم والشهية في تناول الطعام، والقدرة الجنسية(عايدي، 2019،ص418).

ورغم أن الغالبية يركزون على البعد الموضوعي بحجة قابلية مؤشراته للملاحظة و القياس المباشر مثل أوضاع العمل، مستوى الدخل، المكانة الاجتماعية والاقتصادية...الخ إلا أنه لا يجب إغفال البعد الذاتي بمؤشراته لتعلقه بالجوانب الاجتماعية والتي تعد أكثر دلالة باعتبارها من العوامل التنبؤية لجودة الحياة عند الفرد.

وفي ضوء هذا الجدل يمكن القول بأن جودة الحياة هي علاقة تبادلية بين متطلبات البيئة والخصائص الشخصية، وبين إدراك الفرد لاحتياجاته الشخصية والمصادر الاجتماعية البيئية، كما تبقى جودة الحياة في بعديها الموضوعي والذاتي مرتبطة بثقافة المجتمع و درجة تحضره وتعكس مدى قدرة الأفراد على التوافق مع الثقافة التي يعيشونها ومع المعايير الثقافية والحضارية التي يوفرها المجتمع.

7- العوامل المؤثرة في جودة الحياة الأسرية:

أحصى الباحثون والمختصون في معرض تحليلهم للعوامل المؤثرة في جودة الحياة الأسرية عددا من العوامل كما يلي:

7-1-الحالة الإقتصادية للأسرة: لطالما شكل الوضع الإقتصادي للأسرة دورا كبيرا في تحديد مستوى جودة الحياة الأسرية، وذلك نظرا لما يقترن به من أنماط سلوكية تحدد بدورها طريقة تفكير الفرد و تفاعله مع ما يتعرض له من أحداث وتطورات خلال حياته اليومية، كما أنه كلما ارتفع الوضع الإقتصادي للأسرة تيسرت لأفرادها وسائل النمو السليم و تحققت لهم السلامة النفسية والإجتماعية (عيسى و العصيمي،2017،ص233)

وكل أسرة في المجتمع ذات مستوى معين من الدخل و الإنفاق، وتختلف الأسر من حيث طريقة حصولها على الدخل، ويؤدي شعور الأسرة بالعجز المادي، وعدم مقدرتها على الحصول على الدخل الذي يفي بمتطلباتها إلى آثار ضارة على جميع أفرادها و ينعكس بالسلب على جودة الحياة الأسرية.

كما يؤثر المستوى الاقتصادي للأسرة على النمو النفسي والاجتماعي والمعرفي لدى الأبناء، فهو يؤثر على مقدار الامكانيات المادية والترفيهة المتوفرة للأبناء، فالأسرة التي توفر ما يكفي لأبنائها من احتياجات مادية وتحقق التكيف الاقتصادي لهم كفيلة بخلق نظرة متفائلة وطموحة عن الحياة و المستقبل لأبنائها، ولكن عندما لايمكن للأسرة أن توفر الاحتياجات الكافية لأبنائها،تنشأ مشاعر النقص والحرمان لدى أبنائها، مما يؤثر على مستوى جودة الحياة لديهم(حسين وآخرون،2001،ص16)،باعتبار الجودة تتضمن بعدين أساسيين بعد موضوعي(مادي) وبعد ذاتي (معنوي).

2-7-حجم الأسرة: لحجم الأسرة أثر كبير على جودة الحياة الأسرية، فالطفل الوحيد على سبيل المثال غالبا ما يحاط برعاية تزيد عن الحاجة، ولهذا تصبح علاقات هذا الطفل بغيره على أساس أهمية مصالحه،بخلاف الطفل الذي ينشأ في أسرة كثيرة الأطفال،فهذا الطفل غالبا ما يميل إلى النموذج السّوي باعتبار أنه يتعامل مع خليط من الأطفال، كذلك وجود الأبوين أو الأم بمفردها من العوامل المهمة في التنشئة الأسرية، وهناك أيضا نسبة الذكور إلى نسبة الإناث وترتيب الطفل بينهم(محمدي و بوعيشة،2013،ص12).

من زاوية أخرى نلاحظ أن حجم الأسرة الصغير أصبح نمطا سائدا في هذا العصر، أدى ذلك إلى زيادة التفاعل و التواصل بين أفراد الأسرة،وزيادة المشاركة في اتخاذ القرارات وحل المشكلات،حيث تعطي الأسرة صغيرة الحجم فرصا أكبر لاكتشاف قدرات الأبناء ومتابعة أدائهم المدرسي كما تتيح هذه الأسرة فرصا أكبر لمشاركة الأبناء في أنشطتهم الثقافية والاجتماعية ورعاية اهتماماتهم ومواهبهم والعمل على صقلها(أبو كيف،2016،ص341).

3-7-طبيعة العلاقة الزوجية: تعتبر العلاقة الزوجية أهم عنصر يؤثرعلى جودة الحياة الأسرية، فالعلاقة الزوجية التي تتصف بالمشاحنة والخلاف بين الزوجين تزيد من حالة القلق وعدم الرضا والتوتر بينهما، وهذا ينعكس على طريقة تفاعلهم مع أطفالهم فيكونان أكثر ميلا لاستخدام القسوة والإهمال و الحرمان.

بمعنى آخر إذا لم يكن الوالدان على درجة ملحوظة من النضج ويفتقدان القدرة على تحقيق قدر من التفاهم والتوافق الزواجي، وكان لديهما استعداد للشقاق والمشاحنات الزوجية فإن أي عقبة ستكون سببا كافيا لاندلاع المزيد من الخلافات و الشقاق، حيث يحمّل كل منهما الآخر المسؤولية،كما يحاول كل منهما التنصل من المسؤوليات الكبيرة والثقيلة مما يؤثر دون أدنى شك على جودة الحياة الأسرية.

4-7-الوازع الديني:لطالما شكل الدين أهم الركائز الأساسية لجودة الحياة الأسرية، لأنه مصدر من مصادر تكوين الشخصية المتوازنة التي يفيض سلوكها الجاد خيرا ونقاء على محيطها الأسري،فمن أهم الوسائل التي تؤدي إلى زيادة التكامل والوحدة بين أفراد الأسرة ممارسة الشعائر الدينية بطريقة جماعية، فمثل هذه الممارسات الدينية تهذب

الأسرة فكريا وروحيا وتمنع أسباب الإنحراف.

كما يمثل الدين والقيم الروحانية أدوات ووسائل تمكن الإنسان من التكيف مع الضغوط المحيطة،وتعزز لديه السلامة الذاتية، ويساهم الدين في تعزيز الدافع لدى الوالدين لتبني مباديء وأفكار سليمة مثل الكرم والحياء والصدق والمساواة والسلام الداخلي والحب غير المشروط تجاه الأولاد والتسامح. كما يساعد الدين على تنمية مهارات التكيف والمرونة النفسية لدى كل أفراد الأسرة (pandya,2017,65).

7-5-المستوى الثقافي للوالدين: نعلم جميعا أن معارف الفرد تزداد كلما ارتقى مستوى تعليمه وتتسع آفاقه نتيجة لما يتعلمه من خبرات الآخرين وتجاربهم. والمستوى التعليمي للوالدين يساعد في توظيف معلوماتهما و معارفهما في تعليم الأطفال وذلك من خلال التفاعلات اليومية والتنشئة الأسرية، ويفسر ذلك بأن ارتفاع مستوى تعليم الوالدين يجعلهما أكثر إدراكا ومراعاة للظروف البيئية والتربوية المناسبة للأطفال.

كما أن المستوى التعليمي للوالدين ذا أثر كبير على عملية التطبيع الاجتماعي للطفل، من خلال تقليد الأطفال لنموذج الأب والأم، فالطفل الذي ينشأ في أسرة متصلة ذات اطلاع على ثقافات مختلفة في بيت علم يتعامل مع الكتب و المجلات والجرائد يختلف عن الطفل الذي ينشأ في أسرة لا تهتم بهذه الأمور كما أن لانخفاض المستوى التعليمي للوالدين أثر في فهم الوالدين لحاجات أبنائهم،خاصة المراهق ومحاولة تلبيتها(عيشاوي،2017،ص216).

جماع القول، تضمن جودة الحياة الأسرية سعادة واستقرار وفاعلية أفرادها لإدراكهم بأن حياتهم ذات معنى في كنف هذه الأسرة التي تسعى جاهدة لتلبية احتياجاتهم، ويتحقق ذلك عن طريق التوافق بين الزوجين وقدرتهما على التواصل ومواجهة صعوبات الحياة، وقدرتهما على النجاح في رعاية أبنائهما بدنيا،نفسيا واجتماعيا مما يوفر الظروف البيئية الملائمة لتنمية قدرات ومهارات الأطفال لإعداد جيل فاعل ومبدع في المجتمع يتمتع بحياة كريمة.

خاتمة

ما يمكن استخلاصه من خلال الطرح السابق هو أن الجودة كمفهوم حديث ظهر ليواكب سياسات التغيير والتطوير الحاصلة في المجتمعات التي أصبحت تتسم بالتعقيد والمنافسة الشديدة، هذا ما أدى إلى تبني مدخل جودة الحياة كخيار استراتيجي تستند إليه المجتمعات لتحقيق التقدم المنشود، لتصبح مسألة الجودة في الحياة الأسرية مطلبا وضرورة في الوقت نفسه.لأنها المسؤول الأول عن إعداد أجيال متزنة ومستقرة ومؤهلة، فاختلال وظائف النسق الأسري يؤدي حتما إلى انخفاض جودة الحياة الأسرية، والعلاقة إذن هي علاقة طردية أي كلما حرصت الأسرة على أداء وظائفها المتعددة المتداخلة والمتشابكة والمتكاملة، و مارستها بنجاح كلما أدى ذلك إلى ضمان مستوى أرقى من الجودة في الحياة الأسرية و من ثم جودة الحياة في المجتمع بصفة عامة.

ولعل من المناسب التذكير بأن جودة الحياة الأسرية تمثل أيضا نجاح الأسرة في الموازنة بين الموروث الثقافي الأصيل وبين الوافد الحضاري المعاصر، فلا هي تتخلى عن قيمها ومبادئها، ولاتتخلف عن ركب التحضر و مواكبة العصر. والأسرة الجزائرية اليوم في أمس الحاجة إلى عصرنتها ضمن الموروث الثقافي الإيجابي، والإبتعاد عن اجترار ما كان سلبيا منه، وهذا يحتاج إلى بث مفهوم الجودة ببعديه الكمي والكيفي في حياتنا الأسرية لضمان التطور الذي يفرض نفسه فرضا.

المراجع المعتمدة:

1. -أبو كيف، سعدي عبد الرحمان(2016).**أساليب المعاملة الوالدية وعلاقته بجودة الحياة لدى الموهوبين بالخرطوم**،مجلة الدراسات العليا،6(23)، السودان.

2. -البقلي،أحمد عبد العزيز(2014).**مفهوم نوعية الحياة النشأة والتطور**، المؤتمر السنوي الثالث والأربعين حول قضايا السكان والتنمية والواقع وتحديات المستقبل، القاهرة.

3. -العمري أحمد،عزيزة(2020).**جودة الحياة الأسرية والدافعية للإنجاز لدى عينة من الطلاب وطالبات المرحلة الثانوية بمدينة جدة**،المجلة الإلكترونية الشاملة

متعددة المعرفة لنشر الأبحاث العلمية والتربوية ،العدد 21.

4. -**القرآن الكريم.سورة الإسراء،الآية 23.**

5. -القرآن الكريم.سورة الروم،الآية 21.

6. -**المنجد في اللغة العربية المعاصرة**(2001).قاموس عربي-عربي، لبنان،بيروت،دار الشرق.

7. -بحرة،كريمة (2015):**جودة حياة التلميذ وعلاقتها بالتحصيل الدراسي**،مذكرة لنيل شهادة الماجستيرفي التنمية البشرية وفعالية الأداء،كلية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران، الجزائر.

8. حسين وآخرون (2001) **قياس الفقروتوزيع الدخل في الأردن**، مجلة البحوث الاقتصادية العربية، الجامعة العربية للبحوث الاقتصادية، القاهرة،.

9. -حفصة بنت صالح المالك، ربيع محمود نوفل(2006). **العلاقات الأسرية**، السعودية، دار الزهراء.

10. سيد منصور، عبد المجيد وزكريا الشربيني(2000).**الأسرة على مشارف القرن21**، ط1ملتزم للطبع والنشر.

11. -عايدي،نادية (2019).**مستوى جودة الحياة الصحية لدى طلبة الجامعة**،مجلة العلوم الانسانية لجامعة أم البواقي،المجلد6،العدد2-الحزائر.

21. -عبد الله الرشدان(1998) **علم الاجتماع التربية**، دار الشروق، عمان، الأردن.

31. -علياء شكري وآخرون.(1998) **الاسرة والطفولة**، دار المعرفة الجامعية، الازاريطة، مصر،

41. -عوفي، مصطفى(2003). **خروج المرأة إلى ميدان العمل و أثره على التماسك الاسري**، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة قسنطينة، الجزائر، العدد 19.

51. -عيشاوي، وهيبة(2017).جودة الحياة الأسرية وعلاقتها بالتحصيل الدراسي،

61. -غيث، محمد عاطف(2006). **قاموس علم الاجتماع**، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.

71. -محمد أحمد بيومي، عفاف عبد العليم ناصر(2003). **علم الاجتماع العائلي (دراسة التغيرات في الاسرة العربية)** ، مصر، دار المعرفة الجماعية، الازاريطة.

81. -محمدي، فوزية وبوعيشة آمال(2013).**معوقات جودة الحياة الأسرية**،الملتقى الوطني الثاني حول الإتصال وجودة الحياة في الأسرة.

91. -نبيل محمد توفيق السمالوطي)(1981**الدين والبناء العائلي**، دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة، جدّة، المملكة العربية السعودية،.

20.-نورة، الغبشي الزهراني(2019).**الأمن الفكري وانعكاسه على جودة الحياة الأسرية**، المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية،العدد9،المملكة العربيةالسعودية.

21 .-PANDAY,S.E(2017). spiritualy and parents of children with disability vews of paractioners ,journal of disability andreligion ,n21.

22.-park,j and others(2003) .Toward assessing family outcmes of service delivery :validation of a family quality of survey ,journal of intellectual disability research,vol(47).